Conference Proceedings: Enhancing the Role of Islamic, Social, and Human Studies in Building Society, Volume 23, July 2026.

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

الهوية والانتماء في الشعر الجاهلي وأثرهما في بناء المجتمع

م.م ضياء يونس حميد

ديوان الوقف السني/ دائرة المؤسسات الدينية والخيرية ـ أوقاف بغداد الرصافة

Identity and Belonging in Pre-Islamic Poetry and Their Impact on Building Society

Diaa Younis Hameed, Assist. Lecturer
Sunni Endowment Diwan / Department of Religious and Charitable Institutions – Baghdad Endowment, Al-Rusafa
dhiaayounis٤٩٨@gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث موضوع الهوية والانتماء في الشعر الجاهلي وأثرهما في بناء المجتمع العربي قبل الإسلام، بوصفهما من أهم القيم المركزية التي أسهمت في تشكيل البنية الاجتماعية والنفسية للإنسان العربي، ويهدف البحث إلى الكشف عن كيفية تجسيد الشعر الجاهلي للهوية القبلية والانتماء الاجتماعي، وبيان دوره في ترسيخ التماسك القبلي وتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع، وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسة النصوص الشعرية الجاهلية، مع الوقوف عند أبرز القيم المرتبطة بالهوية والانتماء مثل العصبية القبلية، والفخر، والولاء، والدفاع عن الجماعة، وتوصل البحث إلى أن الشعر الجاهلي لم يكن مجرد تعبير جمالي، بل كان أداة اجتماعية فاعلة أسهمت في بناء الوعي الجمعي، وتعزيز وحدة القبيلة، وحفظ توازنها الداخلي، ممّا جعله عنصراً أساسياً في تشكيل البنية الاجتماعية للعرب قبل الإسلام.

الكلمات المفتاحية :الهوية، الانتماء، الشعر الجاهلي، القبيلة .

Abstract

This research examines identity and belonging in pre-Islamic poetry and their impact on building Arab society before Islam. These concepts represent core values that contributed to shaping the social and psychological structure of the Arab individual. The study aims to explore how pre-Islamic poetry expressed tribal identity and social belonging, and to highlight its role in reinforcing tribal cohesion and regulating social relations. The research adopts a descriptive-analytical approach in examining selected pre-Islamic poetic texts, focusing on key values associated with identity and belonging such as tribal solidarity, pride, loyalty, and collective defense. The study concludes that pre-Islamic poetry was not merely an aesthetic expression, but a powerful social tool that contributed to shaping collective consciousness, strengthening tribal unity, and maintaining internal balance, making it a fundamental element in the formation of Arab social structure before Islam.

Keywords: Identity, Belonging, Pre-Islamic Poetry, Tribe,

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الكلمة وسيلةً للتعبير عن هوية الإنسان وذاكرته الجمعية، وجعل الشعر ديوان العرب ومرآة حياتهم الاجتماعية والفكرية، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.أما بعد..يُعدّ الشعر الجاهلي أحد أهم المصادر الأدبية والتاريخية التي حفظت صورة المجتمع العربي قبل الإسلام، بما يحمله من قيم وأعراف وتصورات شكلت البنية الفكرية والاجتماعية للإنسان العربي آنذاك، ويأتي موضوع الهوية والانتماء في مقدمة القضايا المركزية التي تجلت في هذا الشعر، إذ ارتبطت الهوية ارتباطاً وثيقاً بالبنية القبلية، بينما جسد الانتماء روح الجماعة والولاء لها، بما أسهم في بناء توازن المجتمع واستقراره الداخلي.وقد سعى الشعر الجاهلي إلى ترسيخ هذه القيم عبر الفخر والحماسة والهجاء والمدح، مما جعله أداة فاعلة في تشكيل الوعي الجمعي وتعزيز الانتماء القبلي، فضلاً عن كونه وسيلة لضبط العلاقات الاجتماعية وحماية النسق

القبلي من التفكك.وتكمن أهمية دراسة هذا الموضوع في الكشف عن الدور الاجتماعي للشعر الجاهلي بوصفه خطاباً ثقافياً أسهم في بناء المجتمع العربي قبل الإسلام، وليس مجرد نصوص جمالية فحسب.

أولاً: أهمية الموضوع

١. إبراز الدور الاجتماعي للشعر الجاهلي في تشكيل الهوية العربية قبل الإسلام.
٢. الكشف عن علاقة الشعر بالبنية القبلية ومنظومة الانتماء الاجتماعي.
٣. توضيح وظيفة الشعر في ترسيخ التماسك القبلي وحفظ النظام الاجتماعي.
٤. الإسهام في فهم جذور الهوية العربية في سياقها التاريخي والأدبي.
٥. ربط الأدب الجاهلي بالدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية الحديثة.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع

١. أهمية الشعر الجاهلي بوصفه مصدراً أساسياً لفهم المجتمع العربي القديم.
٢. ندرة الدراسات التي تربط بين الهوية والانتماء والبناء الاجتماعي في الشعر الجاهلي.
٣. الرغبة في تحليل البعد الاجتماعي للنص الشعري الجاهلي.
٤. ارتباط الموضوع بقضايا الهوية المعاصرة واستمرارية تأثيرها.
٥. التخصص الأكاديمي في الأدب الجاهلي وملاءمته لهذا الحقل البحثي.

ثالثاً: الفرضية

ينطلق البحث من فرضية مفادها أن الهوية والانتماء في الشعر الجاهلي لم يكونا مجرد موضوعين فنيين، بل شكّلا أداة ثقافية واجتماعية أسهمت في بناء المجتمع العربي قبل الإسلام، من خلال ترسيخ الانتماء القبلي وتعزيز التماسك الداخلي وضبط العلاقات الاجتماعية.

رابعاً: هيكلية البحث

اقتضت طبيعة الدراسة تقسيم البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول: الهوية والانتماء في الشعر الجاهلي: المفهوم والتجليات الفنية والاجتماعية المطلب الأول: مفهوم الهوية والانتماء في السياق العربي الجاهلي ومرجعياته القيمية.المطلب الثاني: تجليات الهوية القبلية في الشعر الجاهلي وأبعادها الاجتماعية والثقافية.المطلب الثالث: تمثلات الانتماء القبلي وآليات ترسيخه في البناء الشعري الجاهلي.المبحث الثاني: أثر الهوية والانتماء في الشعر الجاهلي في بناء المجتمع العربي قبل الإسلام المطلب الأول: دور الشعر الجاهلي في تعزيز التماسك القبلي وتكريس الوحدة الداخلية.المطلب الثاني: إسهام الشعر في تشكيل الوعي الجمعي وبناء منظومة القيم الاجتماعية.المطلب الثالث: فاعلية الخطاب الشعري الجاهلي في ضبط العلاقات الاجتماعية وحفظ النظام القبلي.

المبحث الأول الهوية والانتماء في الشعر الجاهلي: المفهوم والتجليات الفنية والاجتماعية

المطلب الأول مفهوم الهوية والانتماء في السياق العربي الجاهلي ومرجعياته القيمية

يُعدّ مفهوما الهوية والانتماء من المفاهيم المركزية في دراسة البنية الاجتماعية والثقافية للعرب في العصر الجاهلي، إذ يتصلان اتصالاً وثيقاً بطبيعة التنظيم القبلي الذي شكّل الإطار الحاكم للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية آنذاك، فالهوية في معناها العام تُحيل إلى مجموع الخصائص التي تميز الفرد أو الجماعة عن غيرها، بينما يُعبّر الانتماء عن العلاقة الشعورية والسلوكية التي تربط الفرد بجماعته الأولى، بما يضمن استمرارية التماسك الداخلي وحماية الكيان الجماعي من التفكك.ومن الناحية اللغوية، ترتبط مادة "هوى هوية" بدلالات الميل والانتساب والخصوصية، كما تشير مادة "نمى" في "الانتماء" إلى الارتقاء والانتساب إلى أصل أو جماعة، وهو ما يفيد الارتباط العضوي بين الفرد ومحيطه الاجتماعي، وقد أشار إبن منظور إلى أن "القوم" هم الجماعة التي يجمعها أصل أو نسب أو مقصد مشترك، مما يعكس البنية العميقة للهوية القبلية في الوعي العربي القديم[١].أمّا في السياق الجاهلي، فإن الهوية لم تكن مفهوماً مجرداً، بل كانت هوية جمعية قبلية تقوم على النسب والدم والمكان، حيث تمثل القبيلة وحدة الانتماء الأساسية التي يذوب فيها الفرد ويكتسب من خلالها وجوده الاجتماعي ومكانته، وقد ارتبطت هذه الهوية بمنظومة من القيم أبرزها: العصبية القبلية، والفخر، والنصرة، والولاء المطلق للجماعة، وهي قيم أسهمت في ضبط العلاقات الداخلية والخارجية للقبيلة.ويُعدّ الشعر الجاهلي الوعاء الأبرز الذي تجلت فيه هذه الهوية، إذ لم يكن الشعر مجرد تعبير جمالي، بل كان خطاباً اجتماعياً وظيفياً

يسهم في تشكيل الوعي الجمعي وترسيخ الانتماء القبلي، فقد وظف الشعراء الفخر بوصفه آلية لتثبيت هوية القبيلة وإبراز مكانتها بين القبائل الأخرى، كما وظفوا الهجاء لتأكيد حدود الانتماء ورفض الآخر، مما جعل الشعر أداة رمزية لضبط التوازنات القبلية.وفي هذا السياق، يؤكد ابن خلدون أن العصبية هي الأساس الذي يقوم عليه العمران البشري في مراحله الأولى، وأنها تنشأ من رابطة النسب وما يتفرع عنها من ولاء وانتماء، وهو ما ينسجم مع طبيعة المجتمع الجاهلي القائم على وحدة الدم والقرابة [٢].كما تعكس النصوص الشعرية في المعلقات هذا التصور العميق للهوية القبلية، حيث تتكرر مظاهر الفخر بالآباء والأجداد، واستحضار مناقب القبيلة، والدفاع عن شرفها، بما يجعل الهوية هنا هوية تاريخية ممتدة وليست لحظة آنية، ويبرز ذلك في شعر عنترة بن شداد الذي ربط بين الانتماء القبلي وإثبات الذات الفردية داخل الجماعة، مما يعكس جدلية العلاقة بين الفرد والقبيلة في البناء الجاهلي[٣]ومن جهة أخرى، يشير الجاحظ إلى أن العرب كانت تجعل من اللسان والشعر وسيلة لحفظ المآثر وتثبيت المكانة الاجتماعية، وأن الشعر كان بمثابة "ديوانهم" الذي تُحفظ فيه أنسابهم وأيامهم ومفاخرهم[٤].وهذا يؤكد أن الهوية في المجتمع الجاهلي لم تكن تُبنى على المؤسسات السياسية، بل على الذاكرة الشفوية التي يحملها الشعر بوصفه أداة حفظ ونقل.وعليه يمكن القول إن الهوية في السياق الجاهلي كانت هوية جمعية مغلقة نسبياً، تقوم على الانتماء القبلي بوصفه المرجعية العليا، وأن الشعر الجاهلي قد أسهم بصورة فاعلة في ترسيخ هذه الهوية عبر تكريس قيم الفخر والنصرة والولاء، مما جعله جزءاً لا يتجزأ من البنية الاجتماعية والثقافية للعرب قبل الإسلام، وأداة مركزية في بناء الوعي الجمعي وتنظيم العلاقات داخل المجتمع القبلي.

المطلب الثاني تجليات الهوية القبلية في الشعر الجاهلي وأبعادها الاجتماعية والثقافية

تُعدّ الهوية القبلية في الشعر الجاهلي من أكثر الظواهر رسوخاً ووضوحاً، إذ لم تكن مجرد فكرة ذهنية أو انتماء رمزي، بل كانت بنية اجتماعية متكاملة تتجسد في اللغة الشعرية وفي الوظائف التي يؤديها الشعر داخل المجتمع العربي قبل الإسلام، فقد شكّل النظام القبلي الإطار الحاكم للعلاقات الإنسانية، بحيث أصبحت القبيلة هي الوحدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية الأساسية، ومنها تستمد الفرد هويته ومكانته وشرعيته الاجتماعية.وتتجلى الهوية القبلية في الشعر الجاهلي عبر عدد من الأشكال الفنية والدلالية، يأتي في مقدمتها الفخر القبلي الذي يُعدّ أبرز مظاهر التعبير عن الانتماء، إذ يقوم الشاعر بتعظيم قبيلته وذكر مناقبها وأيامها في الحروب ومآثرها في الكرم والشجاعة، ويعكس هذا الفخر وعياً جمعياً يسعى إلى تثبيت صورة القبيلة في الذاكرة الاجتماعية وإعادة إنتاجها عبر الخطاب الشعري، وقد أشار ابن قتيبة إلى أن الشعر ديوان العرب الذي حفظ أنسابهم وأيامهم ومفاخرهم، مما يدل على أن البنية القبلية كانت حاضرة بقوة في الوظيفة الشعرية[٥]كما يتجلى البعد القبلي في شعر الحماسة والدعوة إلى النصرة، حيث يتحول الشعر إلى خطاب تعبوي يعبّر عن وحدة المصير داخل القبيلة، ويؤكد ضرورة الدفاع عنها في مواجهة القبائل الأخرى، ويبرز ذلك في المعلقات، خصوصاً في معلقة عمرو بن كلثوم التي تعكس روح الاعتزاز الجمعي والانتماء المطلق للقبيلة، حيث يتداخل الفردي بالجماعي في بنية خطابية واحدة [٦]ومن مظاهر تجلي الهوية القبلية أيضاً الهجاء، الذي لا يُفهم بوصفه غرضاً فنياً فقط، بل بوصفه أداة اجتماعية لتحديد الحدود بين "الذات القبلية" و"الآخر القبلي". فالهجاء يعكس صراع الهويات داخل المجتمع الجاهلي، ويؤدي وظيفة ردعية تحفظ توازن القوى بين القبائل، وتمنع الاعتداء على مكانتها، وقد أشار الجاحظ إلى أن الهجاء كان سلاحاً اجتماعياً لا يقل أهمية عن السلاح المادي في الصراع القبلي[٧]أما من الناحية الثقافية، فإن الهوية القبلية في الشعر الجاهلي تعكس منظومة قيمية متكاملة تقوم على الشرف، والنجدة، والكرم، والوفاء بالعهد، وحماية الجار، وهذه القيم لم تكن مجرد مثُل عليا، بل كانت معايير عملية تنظم العلاقات داخل القبيلة وبين القبائل، وقد أشار ابن خلدون إلى أن العصبية القبلية تقوم على رابطة النسب وما يتفرع عنها من قيم الولاء والتناصر، وهي التي تحفظ تماسك الجماعة وتمنع تفككها[٨].

كما تكشف النصوص الشعرية عن بعد ثقافي مهم يتمثل في تشكيل الوعي الجمعي، حيث يصبح الشعر وسيلة لتثبيت الذاكرة القبلية عبر استحضار "الأيام" والمعارك والبطولات، فهذه الذاكرة ليست فردية، بل جماعية تُعيد إنتاج الهوية القبلية باستمرار، ويؤكد ابن سلام الجمحي أن الشعر العربي كان مرجعاً تاريخياً واجتماعياً لحفظ أخبار العرب وأنسابهم ومفاخرهم [٩].ومن الشواهد الدالة على ذلك ما نجده في شعر زهير بن أبي سلمى الذي يعكس رؤية إصلاحية داخل الإطار القبلي، إذ يدعو إلى حفظ الدماء وإيقاف الحروب العبثية، مما يدل على أن الهوية القبلية لم تكن قائمة على الصراع فقط، بل كانت قابلة لإنتاج خطاب أخلاقي ينظم العلاقات بين القبائل[١٠]وعليه يمكن القول إن تجليات الهوية القبلية في الشعر الجاهلي لم تكن مجرد موضوعات شعرية، بل كانت تعبيراً عن بنية اجتماعية وثقافية متكاملة، أسهمت في تشكيل الوعي الجمعي للعرب قبل الإسلام، فقد أدى الشعر وظيفة مركزية في تثبيت الانتماء القبلي، وتنظيم العلاقات الاجتماعية، وصناعة ذاكرة ثقافية مشتركة، مما جعله وثيقة حضارية تعكس عمق البناء الاجتماعي للعرب في العصر الجاهلي.

المطلب الثالث تمثلات الانتماء القبلي وآليات ترسيخه في البناء الشعري الجاهلي

يُعدّ الانتماء القبلي في المجتمع الجاهلي أحد أعمق البنى الشعورية والسلوكية التي حكمت تصور الإنسان العربي لذاته وموقعه داخل الجماعة، إذ لم يكن الانتماء خياراً فردياً بقدر ما كان معطىً وجودياً تتحدد من خلاله الهوية الاجتماعية، وتُبنى عليه العلاقات، وتُصاغ وفقه منظومة القيم والمعايير، ومن ثمّ فإن الشعر الجاهلي لم يكن مجرد انعكاس لهذا الانتماء، بل كان أداة فاعلة في إنتاجه وإعادة ترسيخه داخل الوعي الجمعي.وتتجلى تمثلات الانتماء القبلي في الشعر الجاهلي عبر صور متعددة، يأتي في مقدمتها الفخر الجماعي الذي يعبّر عن ذوبان الفرد في القبيلة،حيث يتحول الشاعر إلى لسان حال الجماعة، يعبّر عن مجدها وتاريخها ومواقفها في الحروب والسلم، ويُلاحظ أن الفخر في هذا السياق لا يقوم على تمجيد الذات الفردية، بل على تمجيد الكيان القبلي بوصفه وحدة متكاملة، وقد أشار الأصمعي إلى أن الشعر الجاهلي كان سجلّاً لمفاخر العرب وأيامهم، بما يعكس مركزية الانتماء في تشكيل الخطاب الشعري[١١].كما يظهر الانتماء القبلي في الولاء المطلق للجماعة، وهو ولاء يتجاوز الاعتبارات الفردية ليجعل مصلحة القبيلة فوق كل اعتبار، ويتجلى ذلك في مواقف الشاعر حين يدافع عن قبيلته حتى وإن كانت على خطأ، أو حين يفاخر بانتسابه إليها بوصفه مصدر القوة والحماية والشرعية الاجتماعية، ويؤكد هذا المعنى ما ورد في أخبار العرب من أن الانتماء القبلي كان معياراً أساسياً لتحديد المكانة الاجتماعية داخل المجتمع الجاهلي [١٢]ومن الآليات البارزة في ترسيخ الانتماء القبلي داخل البناء الشعري استحضار الذاكرة الجمعية، حيث يقوم الشعر بإعادة إنتاج أحداث الماضي (الأيام، الوقائع، المعارك) بوصفها مرجعيات تأسيسية لهوية القبيلة، فهذه الذاكرة ليست مجرد سرد تاريخي، بل هي بناء رمزي يعيد تشكيل الشعور بالانتماء ويعمق الإحساس بالاستمرارية التاريخية للجماعة، وقد أشار ابن سلام الجمحي إلى أن العرب كانت تحفظ أيامها وأنسابها بالشعر، حتى أصبح الشعر وعاءً للذاكرة القبلية[١٣].كما تُعد الصورة الشعرية إحدى الوسائل الفنية التي أسهمت في ترسيخ الانتماء القبلي، إذ يتم توظيف التشبيهات والاستعارات المرتبطة بالطبيعة والحرب والبطولة لتكريس صورة مثالية عن القبيلة، فالصورة الشعرية لا تكتفي بالتزيين البلاغي، بل تؤدي وظيفة إيديولوجية تتمثل في بناء تصور إيجابي عن الجماعة وتعزيز التماسك الداخلي، ويشير عبد القاهر الجرجاني إلى أن الصورة البلاغية هي أداة لإعادة تشكيل المعنى وإضفاء القوة التأثيرية عليه[١٤]ومن الآليات المهمة أيضاً التكرار الخطابي للأسماء والأنساب والأيام داخل النص الشعري، حيث يؤدي هذا التكرار وظيفة تثبيتية للهوية، ويحول الانتماء من مجرد إحساس عابر إلى بنية لغوية راسخة في الذاكرة الجماعية، فذكر النسب والقبيلة في مطالع القصائد أو في سياق الفخر يعكس حضور الانتماء بوصفه محوراً بنيوياً في النص الجاهلي.أما على المستوى البنائي، فإن القصيدة الجاهلية نفسها تسهم في ترسيخ الانتماء القبلي من خلال بنيتها المفتوحة التي تبدأ بالوقوف على الأطلال ثم تنتقل إلى الفخر أو الحماسة، وهو ما يعكس حركة من الذات الفردية إلى الذات الجماعية، ومن الذكرى الشخصية إلى الهوية القبلية، وقد أشار طه حسين إلى أن القصيدة الجاهلية تعكس حياة العرب الفكرية والاجتماعية، بما يجعلها وثيقة حضارية قبل أن تكون نصاً فنياً[١٥]وعليه، يمكن القول إن الانتماء القبلي في الشعر الجاهلي لم يكن مجرد مضمون شعري، بل كان بنية فكرية وجمالية متكاملة، عملت على ترسيخ الهوية الجماعية للعرب قبل الإسلام، فقد أسهم الشعر عبر آلياته الفنية (الفخر، الذاكرة الجمعية، الصورة، التكرار، والبنية السردية) في تحويل الانتماء من قيمة اجتماعية إلى نظام رمزي متجذر في الوعي، مما جعله أحد أهم أدوات بناء المجتمع الجاهلي وصيانة تماسكه الداخلي.

المبحث الثاني أثر الهوية والانتماء في الشعر الجاهلي في بناء المجتمع العربي قبل الإسلام

المطلب الأول دور الشعر الجاهلي في تعزيز التماسك القبلي وتكريس الوحدة الداخلية

يمثّل التماسك القبلي في المجتمع الجاهلي إحدى الركائز الأساسية التي قامت عليها البنية الاجتماعية للعرب قبل الإسلام، إذ كانت القبيلة هي الوحدة السياسية والاجتماعية التي تضمن الأمن والحماية والاستمرارية لأفرادها، وفي هذا السياق، اضطلع الشعر الجاهلي بدور محوري في تعزيز هذا التماسك وتكريس الوحدة الداخلية، من خلال كونه خطاباً ثقافياً وجماعياً يسهم في بناء الوعي المشترك وترسيخ قيم التضامن والانتماء.لقد كان الشعر في المجتمع الجاهلي بمثابة "اللسان الرسمي" للقبيلة، يعبر عن مواقفها، ويجسد تاريخها، ويخلّد مآثرها، الأمر الذي جعله وسيلة فاعلة في توحيد الشعور الجمعي داخل القبيلة، وقد أشار ابن رشيق القيرواني إلى أن الشعر "ديوان العرب" الذي حفظ أنسابهم وأخبارهم وأيامهم، مما يدل على وظيفته التوثيقية والاجتماعية في آن واحد[١٦]ومن أبرز وظائف الشعر في تعزيز التماسك القبلي ترسيخ قيمة الفخر الجماعي، حيث يقوم الشاعر بتكريس صورة إيجابية عن قبيلته، وإبراز عناصر القوة فيها مثل الشجاعة والكرم والنجدة وحماية الجار، ويؤدي هذا الفخر إلى رفع الروح المعنوية لأفراد القبيلة، وتعزيز شعورهم بالانتماء والاعتزاز الجماعي، بما ينعكس على وحدة الصف الداخلي، ويُعدّ شعر الحارث بن حلزة اليشكري نموذجاً بارزاً في هذا السياق، إذ يجسد روح الدفاع عن القبيلة وتماسكها في مواجهة الخصوم[١٧]كما أسهم الشعر في معالجة النزاعات الداخلية وترسيخ المصالحة القبلية، حيث لعب الشعراء دور الوسطاء في تهدئة الصراعات بين بطون القبيلة أو بين القبائل المتحالفة، فقد كان

الخطاب الشعري أداة لإعادة التوازن الاجتماعي، من خلال الدعوة إلى الصلح وحقن الدماء وتذكير الأطراف المشتركة بروابط النسب والمصير، وقد أشار الجاحظ إلى أن الشعر كان يُستعمل في السلم كما يُستعمل في الحرب، لما له من تأثير بالغ في النفوس[١٨]ومن الجوانب المهمة أيضاً تثبيت الذاكرة الجمعية للقبيلة، إذ يعمل الشعر على توحيد أفراد القبيلة حول تاريخ مشترك من الأحداث والوقائع والمعارك، وهو ما يُعرف بـ"أيام العرب". فاستحضار هذه الأحداث في القصائد يسهم في تعزيز الشعور بالوحدة الداخلية، ويمنح أفراد القبيلة إحساساً بالاستمرارية التاريخية، وقد أكد ابن الأثير أن العرب اعتمدت الشعر في حفظ أخبارها وأيامها، لما يتميز به من قدرة على الحفظ والانتشار[١٩]كما يُعدّ الخطاب الحماسي من أهم الآليات التي أسهمت في تقوية التماسك القبلي، حيث يعبّر عن لحظات المواجهة والدفاع المشترك عن القبيلة ضد الأعداء، ويؤدي هذا الخطاب إلى إذابة الفوارق الفردية داخل الكيان الجمعي، وتحويل الأفراد إلى وحدة قتالية متماسكة تسعى إلى حماية القبيلة وصيانة وجودها، ويظهر ذلك بوضوح في شعر عنترة بن شداد الذي يمزج بين البطولة الفردية والانتماء الجماعي، مما يعكس تداخل الذاتي بالقبلي[٢٠].ومن الناحية الثقافية، أسهم الشعر الجاهلي في تثبيت منظومة القيم المشتركة التي تقوم عليها وحدة القبيلة، مثل الوفاء، والنجدة، وحماية الجار، وإغاثة الملهوف، وهذه القيم لم تكن مجرد مثُل أخلاقية، بل كانت قواعد سلوكية ملزمة تحفظ تماسك الجماعة وتمنع تفككها، وقد أشار ابن خلدون إلى أن العصبية تقوم على هذه القيم التي تضمن التناصر والتعاون بين أفراد الجماعة[٢١]وعليه يمكن القول إن الشعر الجاهلي لم يكن مجرد تعبير فني عن التجربة الفردية، بل كان مؤسسة اجتماعية وثقافية فاعلة أسهمت في تعزيز التماسك القبلي وتكريس الوحدة الداخلية، من خلال بناء خطاب جمعي يرسخ الانتماء ويعيد إنتاج الذاكرة المشتركة ويضبط العلاقات داخل القبيلة، وبذلك أصبح الشعر أحد أهم أدوات التنظيم الاجتماعي في المجتمع العربي قبل الإسلام، وركيزة أساسية في بناء وحدته واستقراره.

المطلب الثاني إسهام الشعر في تشكيل الوعي الجمعي وبناء منظومة القيم الاجتماعية

يمثّل الوعي الجمعي في المجتمع الجاهلي الإطار الفكري والقيمي الذي تتشكل من خلاله تصورات الأفراد عن الذات والآخر، وعن الخير والشر، وعن المقبول والمرفوض اجتماعياً، وقد اضطلع الشعر الجاهلي بدور محوري في تشكيل هذا الوعي وصياغته، بوصفه الوسيلة الثقافية الأبرز في المجتمع العربي قبل الإسلام، والفضاء الذي تُنقل من خلاله القيم والمعايير وتُرسّخ في الذاكرة الجماعية.لقد كان الشعر الجاهلي أداة لتوجيه السلوك الاجتماعي عبر ما يقدمه من نماذج قيمية وسلوكية، حيث يعرض صوراً مثالية للكرم والشجاعة والوفاء والحماية والنجدة، ويقابلها بصور سلبية للبخل والجبن والخيانة والعار، ومن خلال هذا التقابل القيمي، يتشكل لدى المتلقي وعي جمعي يحدد اتجاهات السلوك داخل الجماعة، وقد أشار ابن قتيبة إلى أن الشعر "يُحسّن القبيح ويُقبّح الحسن" بحسب ما يوجهه الشاعر من خطاب، مما يدل على أثره المباشر في تشكيل الذوق والقيم[٢٢].

كما أسهم الشعر في ترسيخ منظومة القيم الأخلاقية والاجتماعية التي قامت عليها حياة العرب قبل الإسلام، وفي مقدمتها قيم الفروسية والكرم وحماية الجار والوفاء بالعهد، وقد تحولت هذه القيم إلى معايير مرجعية تُقاس بها مكانة الفرد داخل القبيلة، مما جعل الشعر وسيلة لتثبيتها وتعزيزها في الوعي الجمعي، ويُعدّ زهير بن أبي سلمى من أبرز الشعراء الذين جسدوا هذه القيم في شعرهم، حيث ارتبط شعره بالحكمة والدعوة إلى إصلاح ذات البين وحقن الدماء[٢٣]ومن الوظائف الأساسية للشعر في بناء الوعي الجمعي إعادة إنتاج القيم عبر التكرار الرمزي واللغوي، إذ يتكرر ذكر الفضائل القبلية والمثل العليا في القصائد، مما يؤدي إلى ترسيخها في الذاكرة الجماعية وتحويلها إلى جزء من الهوية الثقافية للمجتمع، وقد أشار الجاحظ إلى أن الشعر كان أداة لحفظ المآثر ونقل القيم بين الأجيال، حتى أصبح بمثابة سجل اجتماعي للعرب [٢٤]كما لعب الشعر دوراً مهماً في تحديد مفهوم الشرف الاجتماعي داخل المجتمع الجاهلي، حيث ارتبط الشرف بمفاهيم مثل النسب، والشجاعة، والكرم، والدفاع عن القبيلة، وقد أسهم هذا التحديد في خلق وعي جمعي يميز بين السلوك المقبول وغير المقبول، ويحدد موقع الفرد داخل البنية الاجتماعية، ويؤكد ابن خلدون أن القيم الاجتماعية في المجتمعات القبلية تنشأ من العصبية وما يتفرع عنها من معايير الشرف والفضيلة[٢٥]ومن الناحية الثقافية، أسهم الشعر في توحيد التصورات القيمية بين أفراد القبيلة الواحدة، بحيث يصبح لديهم فهم مشترك لمعاني البطولة والنجدة والكرم، وهو ما يعزز الانسجام الداخلي ويحد من التناقضات السلوكية، كما أن تداول الشعر في المجالس والأسواق (كعكاظ والمجنة وذي المجاز) ساعد على نشر هذه القيم وتعميمها بين مختلف القبائل، مما جعل الشعر وسيلة إعلامية وثقافية فاعلة في المجتمع الجاهلي[٢٦]كذلك أسهم الشعر في تكوين ذاكرة قيمية مشتركة، إذ لم يكن ينقل الأحداث فقط، بل كان يعيد تفسيرها ضمن إطار قيمي يرسخ معايير معينة للسلوك الاجتماعي، فالحرب مثلاً تُقدَّم بوصفها ساحة للفروسية والشرف، والصلح بوصفه قيمة عليا تحفظ الدماء وتضمن الاستقرار، وهذا التوجيه القيمي أسهم في بناء وعي جمعي متماسك يقوم على إدراك مشترك لمعاني الخير والشر.وعليه يمكن القول إن الشعر الجاهلي لم يكن مجرد وسيلة للتعبير الفني، بل كان مؤسسة ثقافية فاعلة أسهمت

في تشكيل الوعي الجمعي للعرب قبل الإسلام، وبناء منظومة القيم الاجتماعية التي حكمت سلوكهم وعلاقاتهم، فقد نجح الشعر في تحويل القيم من معايير فردية إلى قناعات جمعية راسخة، مما جعله أحد أهم أدوات بناء المجتمع وصياغة هويته الثقافية.

المطلب الثالث فاعلية الخطاب الشعري الجاهلي في ضبط العلاقات الاجتماعية وحفظ النظام القبلي

يمثّل الخطاب الشعري في العصر الجاهلي إحدى أهم الآليات التنظيمية غير الرسمية التي أسهمت في ضبط العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع القبلي، وحفظ توازن النظام الاجتماعي القائم على الأعراف والتقاليد المتوارثة، فقد كان الشعر، بما يمتلكه من سلطة رمزية وتأثير نفسي، يقوم بوظيفة تتجاوز البعد الجمالي إلى البعد التشريعي غير المكتوب، إذ أسهم في توجيه السلوك الاجتماعي، وتثبيت القيم، وتنظيم العلاقات بين الأفراد والقبائل.وقد ارتبطت هذه الفاعلية بوضعية الشاعر في المجتمع الجاهلي بوصفه "لسان القبيلة" و"سجلها الحي"، مما منح خطابه سلطة معنوية عالية تجعله قادراً على التأثير في الرأي العام وتعديل السلوك الجمعي، ويشير ابن سلام الجمحي إلى أن الشعر كان معياراً للمفاضلة بين القبائل، ووسيلة لتثبيت المكانة الاجتماعية أو تقويضها[٢٧]ومن أبرز مظاهر ضبط العلاقات الاجتماعية عبر الشعر وظيفة المدح والهجاء؛ فمدح القبيلة أو الفرد كان يرسّخ مكانته الاجتماعية ويعزز روابط الولاء والانتماء، بينما كان الهجاء يؤدي وظيفة ردعية تحدّ من السلوكيات المرفوضة اجتماعياً، وتعيد ضبط التوازن بين الجماعات، وقد أشار الجاحظ إلى أن الهجاء كان أشد وقعاً من السلاح أحياناً، لما يتركه من أثر في السمعة والمكانة[٢٨].

كما أسهم الشعر في تنظيم العلاقات بين القبائل من خلال تثبيت الأعراف المتعلقة بالحرب والسلم والصلح، حيث كان الشعراء يتدخلون في فض النزاعات أو تأجيجها بحسب مصالح قبائلهم، مما يجعل الخطاب الشعري جزءاً من آليات إدارة الصراع في المجتمع الجاهلي، وقد عُرفت "المعلقات" وغيرها من النصوص الكبرى بوصفها سجلاً يعكس هذه التفاعلات الاجتماعية والسياسية.ومن الجوانب المهمة في هذا السياق ترسيخ الأعراف القبلية، إذ كان الشعر وسيلة لنقل القيم العرفية وتثبيتها في الوعي الجمعي، مثل حماية الجار، وإكرام الضيف، والوفاء بالعهد، ومنع الغدر، وقد تحولت هذه الأعراف عبر التكرار الشعري إلى قواعد شبه إلزامية تحكم السلوك الاجتماعي داخل القبيلة، ويؤكد ابن قتيبة أن الشعر العربي كان مرجعاً في معرفة أخلاق العرب وطبائعهم[٢٩]كما أدى الخطاب الشعري دوراً مهماً في حفظ التوازن الطبقي داخل القبيلة، حيث أسهم في تثبيت مواقع الشرف والزعامة، وإعادة إنتاج النظام الاجتماعي القائم على النسب والمكانة، فالشعر كان يكرّس مكانة السادة والفرسان، ويعزز حضور القيم التي تحافظ على هذا التراتب الاجتماعي، مما يجعل له وظيفة تنظيمية واضحة داخل البنية القبلية.ومن الناحية التاريخية، يظهر أن الشعر كان يُستعمل في المجالس والأسواق الكبرى مثل عكاظ والمجنة وذي المجاز، حيث كان يشكّل فضاءً عاماً لتداول القيم والأحكام الاجتماعية، مما يمنحه دوراً شبيهاً بالإعلام الجماهيري في العصر الحديث، من حيث التأثير في الرأي العام وتوجيه السلوك الجمعي[٣٠]كما يبرز دور الشعر في حلّ النزاعات وإعادة بناء العلاقات الاجتماعية، إذ كان الشعراء يتدخلون أحياناً في المصالحات القبلية، ويستخدمون الخطاب الشعري لإعادة ترميم العلاقات المتوترة، من خلال التذكير بالمصالح المشتركة وروابط النسب والمصير الواحد، وهذا يعكس قدرة الشعر على أداء وظيفة وساطة اجتماعية غير رسمية داخل النظام القبلي.وعليه يمكن القول إن الخطاب الشعري الجاهلي لم يكن مجرد تعبير فني عن التجربة الفردية، بل كان أداة تنظيم اجتماعي فاعلة أسهمت في ضبط العلاقات بين أفراد المجتمع القبلي، وحفظ توازنه الداخلي، وتثبيت أعرافه وقيمه، فقد أدى الشعر وظيفة شبه مؤسسية في غياب الدولة المركزية، مما جعله أحد أهم أدوات حفظ النظام الاجتماعي في المجتمع العربي قبل الإسلام، وركيزة أساسية في استمراريته واستقراره.

الخاتمة

بعد رحلة بحثية في فضاء الشعر الجاهلي، تتبع هذا العمل العلمي مفهوم الهوية والانتماء وتجلياتهما وأثرهما في بناء المجتمع العربي قبل الإسلام، مبرزاً الدور المركزي الذي اضطلع به الخطاب الشعري في تشكيل البنية الاجتماعية والثقافية للعرب، وقد تبين من خلال التحليل أن الشعر الجاهلي لم يكن مجرد نصوص جمالية أو تعبيرات فنية معزولة، بل كان مؤسسة ثقافية متكاملة أسهمت في إنتاج الوعي الجمعي، وترسيخ القيم، وضبط العلاقات الاجتماعية داخل النظام القبلي، بما جعله أحد أهم مصادر فهم المجتمع العربي القديم.

وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج العلمية، من أبرزها:

١. أن الهوية في المجتمع الجاهلي كانت هوية جمعية قائمة على الانتماء القبلي بوصفه الإطار المرجعي الأعلى للفرد والجماعة.
٢. أن الانتماء القبلي شكّل محوراً أساسياً في بناء العلاقات الاجتماعية وتحديد المكانة داخل المجتمع الجاهلي.
٣. أن الشعر الجاهلي أسهم بفاعلية في ترسيخ الهوية القبلية عبر الفخر والحماسة والهجاء والمدح.
٤. أن الخطاب الشعري كان أداة رئيسة في تشكيل الوعي الجمعي ونقل القيم والمعايير الاجتماعية بين الأجيال.

٥. أن الشعر الجاهلي أدى وظيفة توثيقية تمثلت في حفظ أنساب العرب وأيامهم ومفاخرهم.
٦. أن التماسك القبلي كان مدعوماً بقوة الخطاب الشعري الذي عزز روح التضامن الداخلي ووحدة الجماعة.
٧. أن الشعر أسهم في ضبط العلاقات الاجتماعية من خلال ترسيخ الأعراف القبلية وتوجيه السلوك الجمعي.
٨. أن المجالس والأسواق الشعرية كانت فضاءً عاماً لتداول القيم وتشكيل الرأي العام في المجتمع الجاهلي.
٩. أن الخطاب الشعري امتلك سلطة رمزية مكّنته من التأثير في النظام الاجتماعي في ظل غياب الدولة المركزية.
١٠. أن الشعر الجاهلي يُعد وثيقة حضارية مهمة لفهم البنية الاجتماعية **والثقافية للعرب قبل الإسلام**.

وفي الختام، يتضح أن الشعر الجاهلي كان أكثر من كونه نتاجاً فنياً، إذ مثّل منظومة ثقافية متكاملة أسهمت في بناء المجتمع العربي وصيانة وحدته الداخلية، وإرساء قواعد الانتماء والهوية التي قامت عليها حياته الاجتماعية.نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما فيه الخير والصواب، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، ويبارك فيه، ويجعله علماً نافعاً يُستفاد منه.والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

القران الكريم

١. أسرار البلاغة، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط١، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٨٤م.
٢. الأصمعيات، عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.
٣. الأغاني، علي بن الحسين أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس وآخرين، ط٢، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨م.
٤. أيام العرب في الجاهلية، أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ)، تحقيق: عادل جاسم البياتي، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧م.
٥. البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م.
٦. تاريخ الكامل (الكامل في التاريخ)، عز الدين علي بن محمد ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
٧. ديوان الحارث بن حلزة، الحارث بن حلزة اليشكري (ت نحو ٥٨٠م)، شرح: الحسين بن أحمد الزوزني (ت ٤٨٦هـ)، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٤م.
٨. ديوان زهير بن أبي سلمى، زهير بن أبي سلمى (ت ٦٠٩م)، شرح: الأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ)، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢م.
٩. ديوان عمرو بن كلثوم، عمرو بن كلثوم (ت نحو ٦٠٠م)، شرح: الحسين بن أحمد الزوزني (ت ٤٨٦هـ)، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٤م.
١٠. ديوان عنترة بن شداد، عنترة بن شداد العبسي (ت ٦٠٨م تقريبًا)، شرح: الأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ)، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢م.
١١. الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط٢، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.
١٢. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣٢هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط١، دار المدني، جدة، ١٩٨٠م.
١٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م.
١٤. في الأدب الجاهلي، طه حسين (ت ١٩٧٣م)، ط١٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٧م.
١٥. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.
١٦. المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط١، دار يعرب، دمشق، ٢٠٠٤م.

هوامش البحث

[1] لسان العرب، ابن منظور، ٤١٢/١٥.

[٢] ينظر: المقدمة، ابن خلدون، ١٣٨/١.

[٣] ينظر: ديوان عنترة، شرح الأعلم الشنتمري، ٦٧/١.

[٤] ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ٨٣/١.

[٥] ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ٤٥/١.

[٦] ديوان عمرو بن كلثوم، شرح الزوزني، ٥٢/١.

[٧] ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ١٣٤/٢.

[٨] ينظر: المقدمة، ابن خلدون، ١٤٢/١.

[٩] ينظر: طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، ٢٩/١.

[١٠] ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح الأعلم الشنتمري، ٨٨/١.

[١١] ينظر: الأصمعيات، الأصمعي، ٦١/١.

[١٢] ينظر: أيام العرب في الجاهلية، أبو عبيدة معمر بن المثنى، ٩٨/١.

[١٣] ينظر: طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، ٣٧/١.

[١٤] ينظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ١١٢/١)

[١٥] ينظر: في الأدب الجاهلي، طه حسين، ص ٧٣.

[١٦] ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق، ٥٩/١.

[١٧] ينظر: ديوان الحارث بن حلزة، شرح الزوزني، ٤١/١.

[١٨] ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ١٤٥/١.

[١٩] ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١١٢/١).

[٢٠]ينظر: ديوان عنترة، شرح الأعلم الشنتمري، ٩٢/١.

[٢١] ينظر: المقدمة، ابن خلدون، ١٤٦/١.

[٢٢] ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ٧١/١.

[٢٣] ينظر: ديوان زهير، شرح الأعلم الشنتمري، ٦٤/١.

[٢٤] ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ٥٣/٢.

[٢٥] ينظر: لمقدمة، ابن خلدون، ١٥٠/١.

[٢٦] ينظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ١١٨/٣.

[٢٧] ينظر: طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، ٤١/١.

[٢٨] ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ٩٧/٢.

[٢٩] ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ٨٨/١.

[٣٠] ينظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ٦٦/٤.